تحليل القيم التربوية في ضوء شخصية لقمان الحكيم في القرآن

Zamakhsyari bin Hasballah Thaib

Dosen Fakultas Agama Islam Universitas Dharmawangsa Medan
Jl. Kl. Yos Sudarso No. 224 Medan, Sumatera Utara, 20115
e-mail: zamakhsyari@gmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان شخصية لقمان التي أخلد الله ذكره في القرآن، محاولا استنباط وتحليل القيم التربوية الإسلامية المذكورة فيها، انطلاقاً من الوعي بضرورة فهم وتطبيق القيم التربوية في رسم الهداف التربوية ومراجعتها. يسلك الباحث منهج التفسير الموضوعي والتحليلي للوصول إلى النتائج المرجوة. ومن أهم نتائج البحث: أن شخصية لقمان بحكمته كان مربياً ناجحاً، وأن القيم التربوية ضروري ومهم في نجاح العملية التربوية، وان قصة لقمان الواردة في سورة لقمان من الاية الثانية عشرة إلى الآية التاسعة عشرة مشتملة على العديد من القيم التربوية، من قيمة شكر الله، وقيمة الموعظة الحسنة، وقيمة إبطال الشرك والتحذير منه، وقيمة برّ الوالدين وقيمة طاعة الله، وقيمة اتباع سبيل المؤمنين، وقيمة افيمان بقدرة الله وعلمه، وقيمة مراقبة الله، وقيمة إقامة الصلاة، وقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيمة الصبر، وقيمة حرمة الكبرن وقيمة التواضعن وقيمة القصد في المشين وقيمة غضّ الصوت.

الكلمات المفتاحية: لقمان الحكيم، القيم التربوية، القرآن، التفسير

المقدّمة

إنّ نهضة أيّة أمة متوقفة على مستواها التربوي والتعليمي. فالتربية والتعليم من أساسيات احتياجات الناس في الحياة. فلا حياة كريمة بلا تربية من نوع رفيع، ولا شخصية متميزة بلا تربية من نوع متميز. والتميز والجودة في التربية والتعلم لا يمكن فصله من الثوابت والمعتقدات التي يتمسك بها أية أمة من الأمم. وفي الأمة الإسلامية هناك ثوابت وقيم يجب على كل من اشتغل بحقل التربية والتعليم التمسك بها، وهي كلها مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهّرة.

إلا أنّه من المؤسف أن نقول أن كثيراً من المسلمين اليوم لا يعرفون حقيقة التربية الإسلامية بحقّ، فجعلوا نموذج التربية الغربية كأنه النموذج الوحيد للتربية الرفيعة المستوى. ولهذا من الضروري السعي الحثيث والمحاولة المستمرة لكشف القيم التربوية

الإسلامية التي تميز بها هذه الأمة على غيرها من الأمم، حتّى تتمكن الأمة من العودة إلى مركزها المنشود لها "خير أمّة أخرجت للناس".

والجدير بالذكر، أنّ القرآن قد احتوى على العديد من القصص الي الغنية بالقيم التربوية. فذكر القصص في القرآن ليس من أجل الاستمتاع بحكايتها فحسب، وإنما الغرض الأسمى من ذكر القصص في القرآن هو من أجل أخذ العبر والعظة منها. ولا شكّ أن أية محاولة لكشف واستنباط القيم التربوية من خلال القصص القرآن محاولة محمودة ونافعة، وخاصة في ظل أزمة القيم التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم في سائر جوانب الحياة بما فيها جانب التربية والتعليم.

ومن بين القصص القرآني التي اشتملت على العديد من القيم التربوية هي قصّة لقمان الحكيم ونصيحته لابنه التي ذكرها الله تعالى في سورة لقمان من الآية الثانية عشر إلى الآية التاسعة عشر. ولهذا جاء هذا البحث محاولة لتحليل واستنباط القيم التربوية من تلك القصة.

التعريف بشخصية لقمان الحكيم في ضوء القرآن

إن اسم لقمان اسم أعجمي غير عربي، كما ذكر ذلك العديد من الباحثين.[1] فدلّ ذلك ان لقمان من العجم وليس من العرب. وقد اقترن ذكر اسمه في الاستعمال العام بلقب الحكيم، مما يشير إلى أن هذه الشخصية اشتهر بين الناس بالحكمة،[2] كما قال تعالى واصفاً عنه: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ)) (لقمان: 12).

لقد اختلف العلماء والباحثون في نسبه. منهم من قال بأنه لقمان بن عنقاء بن سدون، ويقال: لقمان بن ثاران، حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتيبي.[3] ومنهم من قال بأنه لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح، وهو آزر ابو إبراهيم، كذا نسبه محمد بن إسحاق. وقيل: هو لقمان بن عنقاء بن سرون، وكان نوبيا من اهل ايلة.[4] وقال الزمخشري: هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل: كان من أولاد آزر.[5]

---

[1] أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، **إرشاد الشاري لشرح صحيح البخاري**، (مصر: الطبعة اكبرى الأميرية، 1323 هـ)، ج7، ص 288.

[2] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **تفسير التحرير والتنوير**، (تونس: دار سحنون، د.ت)، ج 21، ص 149.

[3] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، (جيزة، دار هجر، 1417 هـ)، ط1، ج3، ص 60.

[4] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ)، ج 14، ص 59.

[5] محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون القاويل في وجوه التأويل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407 هـ)، ج 3، ص493.

قال ابن عباس في وصف لقمان: كان عبداً حبشيّاً.[6] وقال عنه مجاهد: كان عبداً أسود عظيم الشفتين، مشقّق القدمين.[7] وقال عنه قتادة: كان قصيراً افطس من النوبة.[8] وقال الفرّاء عنه: كان حبشيّاً مجذوع الأنف ذا مشفر.[9]

أما صفته، فقد وصفه ابن كثير بأنه رجل سكّيت، طويل التفكّر، عميق النظر، لم ينم النهار قط، ولم يراه أحدٌ يبزق، ولا يتنخع، ولا يبول، ولا يتغوّط، ولا يغتسل، ولا يعبث، ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا ان يقول حكمة يستعيد إياه أحدٌ، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشي السلطان، ويأتي الحكّام لينظر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي.[10]

وقد اختلف العلماء والباحثون في شأن منزلة لقمان الذي اخلد الل ذكره في القرآن، هل كان نبيّاً أم غير نبيّ ؟ قال عنه مجاهد: كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبيّاً. وقال عنه عكرمة: كان نبيّاً. ولكن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه كان رجلا صالحا ولم يكن نبيّاً، واستدلوا بقول ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لم يكن لقمان نبيّاً ولكن كان عبداً كثير التفكّر، حسن اليقين، أحبّ الله تعالى فأحبّه، فمنّ عليه بالحكمة)). ومن أمعن النظر إلى وصف الله لقمان في القرآن يجد أن البيان مقتصر بأنه آتاه الله الحكمة، مما يشير إلى أنه ألهم حكمة فنطق بها. فهو مجرد رجل صالح. ولذا لما ذكر تعليمه لابنه، قال تعالى، وهو يعظه، وذلك مؤذن بأنّه تعليم لا تبليغ تشريع.[11]

والجدير بالذكر أنّ شخصية لقمان في القرآن لم تذكر إلا في سورة واحدة التي تسمى باسمه، وهي سورة لقمان. وهذه السورة أنزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ.[12] وعدد آياتها ثلاث وثلاثون آية في عدّ أهل المدينة ومكة، وأربع وثلاثون آية في عدّ اهل الكوفة والبصرة والشام.[13] وهي سورة مكّية.[14]

---

[6] محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن بالقرآن**، (القاهرة: دار السلام، 1425 هـ)، ج 8، ص6554.

[7] المرجع نفسه.

[8] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 3، ص 6.

[9] أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير المشهور بتفسير أبي حيان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010 م)، ج 7، ص 181.

[10] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 3، ص9.

[11] محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 21، ص 149.

[12] المرجع نفسه، ج 21، ص 138.

[13] المرجع نفسه.

[14] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج 6، ص503.

أمّا محور هذه السورة هو بيان الآيات والنعم، والدعوة إلى الإيمان والشكر. والمناسبة بين اسم السورة ومحورها أن لقمان الحكيم جمع بين التمتع بنعمة الحكمة التي وهبها الله له، وشكر تلك النعمة بالدعوة إلى الله والنصح لعباد الله.[15]

ذكر الله شخصية لقمان الأب النصوح لابنه، الذي لا يشغله أعماله الكثيرة خارج المنزل من أن يخصص وقتا لإجراء الحوارالصريح بينه وبين ولده. فنصح الأب ابنه بضرورة تجنب الشرك باللهن لأنه سبب أساسي للشقاء في الدنيا والآخرة، وهو أشد أنواع الظلم الذي يجب على كل احد أن يتخلص منه.

ثم نصح ابنه بشأن ضرورة بر الوالدين، وذكّره بعظمة حقوق الوالدين، وبالأخص حق الأم، التي قد ضحّت بالغالي والنفيس، من أجل ولدها، ابتداء من مرحلة الحمل، ثم مرحلة الرضاع، وما بعدها. بل إن اعظم ما يشغل بال الأمهات والآباء من أمور الدنيا هو شؤون أولادهم.

ثم بدأ بالنصح عن الأخلاقيات والسلوكات التي يجب ان يتخلى عنها من الكبر، والمشي مرحاً، والتعجل في المشي، ورفع الصوت من غير الضرورة، ثم ذكّر ابنه ببعض الأخلاقيا والسلوكيات التي يجب أن يتحلى بها من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الابتلاء.

أجمل الله بيان شخصية لقمان وتعاليمه لابنه في سورة لقمان من الاية الثانية عشرة إلى الآية التاسعة عشرة. وسيأتي في المبحث اللاحق تحليل تلك الايات وبيانها بالاستفاضة.

القيم التربوية وأهميتها في العملية التربوية

إنّ مصطلح القيم التربوية من المصطلحات شائعة الاستعمال على ألسنة التربويين، مما تشير إلى المكانة التي يحتلّها هذا المصطلح في المجال التربوي والتعليمي. وهذا المصطلح مركّب من كلمتين: القيم التي هي جمع قيمة، وتربوية التي هي صفة اصطناعي من كلمة تربية.

[15] نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي للسور القرآنية**، (الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة: جامعة الشارقة، 1434 هـ)، ج 6، ص 26.

والقيمة مشتقة من فعل (قوم)، الذي استعمله العرب في المعاني الكثيرة، منها: الاستقامة والاعتدال،[16] والتقدير والثبات والدوام،[17] والسياسة والرعاية.[18] بينما التربية في اللغة مشتقة من فعل (ربا) الذي استعمله العرب في معان كثيرة ، منها: النماء والزيادة،[19] نشأ وترعرع،[20] حفظ ورعى،[21] أصلح وساس،[22] والرسوخ في العلم.[23]

وحينما تُركّب الكلمتان لتصبح القيمة التربوية فيعني بها: الحكم الذي يضبط به فعل إنسان، ويصبح معياراً يرجع إليه الناس في الحكم على سلوكياتهم وسلوكيات الآخرين.

ولا شك أن كل قيمة تربوية لها صلة وثيقة بما يؤمن به أمة من الأمم. فالقيم التربوية التي يتمسك بها الأمة الإسلامية أو ما سميت بالقيم التربوية الإسلامية مصدرها تعاليم الدين الإسلامي التي تتمثل في القرن والسنة. ولهذا، يمكن القول بأن القيم التربوية الإسلامية هي الأحكام العقلية والوجدانية التي يرشد إليها الدين الإسلامي، وتشير إلى مجموعة ما يؤمن به الأمة الإسلامية ويتفقون على أهميتها، ويعتبرونها ضوابط لأفعالهم، ويتخذون منها معياراً يرجعون إليه في الحكم على سلوكياتهم وسلوكيات الآخرين.

فالقيم التربوية الإسلامية ضرورية ولازمة للفرد المسلم وللمجتمع المسلم معاً، فهي ضرورية للفرد المسلم في تعامله مع غيره من الأفراد، سواء كان من المسلمين أو من غير المسلمين، وهي ضرورية كذلك في تعامله من المواقف التي يواجهها في حياته اليومية، غذ يتّخذ من نسق المعايير والقيم موجّها لسلوكه ونشاطه. وهي كذلك لازمة للمجتمع المسلم، لكي تنظّم أهدافه ومثله العليا كي لا تتضارب قيمه، وبالتالي ينتابها صراع قيمي اجتماعي يؤدي بذلك المجتمع إلى التفكك والسقوط.[24]

وتكمن أهمية دراسة القيم التربوية ومعرفتها في الأمور التالية:

أ) القيم جوهر الكينونة الإنسانية.
ب) القيم تحدّد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة.

---

[16] مجد الدين الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419 هـ)، ص 1152.
[17] صلاح الدين الحواري، **المعجم الوسيط**، (بيروت: دار البحار، د.ت)، ص1381.
[18] ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1419 هـ)، ج 11،ص359.
[19] المرجع نفسه، ج 5، ص96.
[20] المرجع نفسه، ج 5، ص 128.
[21] المرجع نفسه، ج 5، ص 96.
[22] المرجع نفسه.
[23] المرجع نفسه.
[24] قاسم محمد محمود خزعلي، **القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف**، (الأردن: جامعة البلقاء التطبيقية، د.ت)، ص 58.

ت) القيم حماية للفرد من الانحراف وراء شهوات النفس وغرائزها.[25]

علاوة على ذلك، إن القيم التربوية مهمة في رسم الأهداف التي يحاول أية أمة من الأمم تحقيقها، ومن خلالها يمكن إجراء المحاسبة على العملية التربوية التي تم جريانها. فلا يتصور كيف يمكن للناس أن يصل إلى هدفهم المنشود دون التمسك بالقيم التي يؤمنون بها. ومن المعلوم أن الهدف هو الغاية التي يتصّرها الإنسان، ويضعها نصب عينيهن وينظّم سلوكه من اجل تحقيقها، والدافع هو المحرّض العضوي، أو النفسي الذي يبعث على السلوك أو يغذي القوى الباعثة عليه في النفس والجسم ويحرّكها، وينشطها حتى يحقق غاية حيوية تهمّ كيان الكائن، سواء أدركها أو لم يدركها بعقله، أو روحه.[26]

وفي ضوء القيم التربوية الإسلامية، تكون الأهداف التربوية في نظر الإسلامي ثلاثة:

أ) الأهداف الفردية، وتتلخص فيما يلي:

a. تنشئة الطفل تنشئة سليمة، وتكوينه لكي يصبح إنساناً متكاملا من النواحي البدنية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، وطبقاً لأساليبه وطرائقه التربوية.
b. الاهتمام بالقرآن والحديث بتربية ذات فلسفة واضحة تهدف إلى أن يصير كل إنسانٍ عابداً لله.
c. لتحقّق تزكية النفس وإصلاحها بالعبادة الصحيحة.
d. تنمية قدرة الفرد على التأمل والتفكير بالنظر في الكون وتدبّره وتأمّل النفس واستنباطها.
e. الاهتمام بالدين والدنيا معاً.

ب) الأهداف الفرعية، وتتلخص في تربية الفرد الصالح في ذاته، وتربية المواطن الصالح في الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وتربية الإنسان الصالح للمجتمع الإنساني الكبير.

ت) الأهداف الاجتماعية، وتتلخّص فيما يلي:

a. أمة عابدة لله (انظر: القرآن، 51: 56)
b. أمة تنشر الإسلام وتدعو إليه (انظر: القرآن، 3: 110)
c. أمة تطبّق حدود الله تعالى (انظر: القرآن، 5: 44)
d. أمة متعاونة على البرّ والتقوى (انظر: القرآن، 5: 2)
e. أمة تقوي الحضارة الإسلامية في جوانبها المتعددة، من الاقتصادي، والإداري، والأخلاقي، والعمراني.

[25] زهراء أحمد عثمان الصادق، **القيم التربوية في قصص القرآن تصور لخطّة تدريسها في إطار منهج التربية الإسلامية الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساس بالسودان**، رسالة الدكتوراه، جامعة الخرطوم، 2009 م، ص 42.

[26] عبد الرحمن النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، (دمشق: دار الفكر، 1425 هـ)، ص 88.

ولهذا يمكن القول، أن القيم التربوية الإسلامية تجعل من هذه الأمة متميزة عن غيرها من الأمم، لأن أهداف التربية الإسلامية تتميز كذلك عن أهداف التربية لدى الحضارات الأخرى غير الإسلامية.

تحليل القيم التربوية في ضوء شخصية لقمان الحكيم في القرآن

وردت قصّة لقمان في سورة لقمان من الآية الثانية عشرة إلى الآية التاسعة عشرة كما يلي:

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)

قبل الشروع في تحليل القيم التربوية الإسلامية من الآيات السابقة، يحسن بيان المعنى الإجمالي من الآيات الثمانية السابقة. في الآية الثانية عشرة، بيّن الله بأنه تعالى قد أعطى لقمان الحكمة، وهي الفقه في الدين، والإصابة في الأمور، وراسها مخافة الله بذكره وشكره الذي هو طاعته في عبادته وتوحيده فيها. ثم امره الله بالشكر، لأن الله خلقه وأنعم عليه، لأنّ من شكر الله بطاعته فإنّ ثمرة الشكر عائدة للشاكر نفسه، بحفظ النعمة والزيادة فيها.[27] بينما من يكفر بالنعمة ولم يشكرها فالله لا يحتاج إلى الشكر، فهو حقيق بالحمد وإن لم يحمد، أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال.[28]

وفي الآية الثالثة عشرة، ذكّر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر لهؤلاء المشركين ما قال لقمان لابنه، حيث نهاه عن الشرك بالله، وعلل هذا النهي بأن الشرك هو ظلم. والظلم يعني وضع الشيء في غير موضعه، ويترتّب عليه الفساد والخسران الكبير. وكذلك عبادة غير الله وضع لها في غير موضعها. فالعبادة حقّ لله على عباده، مقابل خلقهم ورزقهم وحفظهم.[29]

وفي الآية الرابعة عشرة، بيّن سبحانه بأنه عهد إلى الإنسان آمراً إياه ببر الوالدين، أي أمه وأبوه. وبرّهما يعني بذل المعروف لهما وكفّ الأذى عنهما وطاعتهما في المعروف. وذلك لأنهما قد بذلا الغالي والنفيس من أجل مصلحة الولد. فالأم قد

---

[27] جابر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (الدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1418 هـ)، ص 204

[28] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، (بيروت: دار المعرفة، 1434 هـ)، ص 802

[29] جابر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ص 205.

تحمّلت آلام وأتعاب الحمل والولادة والإرضاع. ولهذا تأكد برّها فوق برّ الأب. وهي أيضاً قد تحملت فطام الولد من الرضاع في عامين، ولهذا أمر أن يشكر لله وذلك بطاعته فيما يأمره به وينهاه عنه، وأمر أن يشكر للوالدين لأنهما قدما معروفاًوجميلاً، وذلك ببرهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله، لأن طاعة الله وشكره قبل طاعة الوالدين وشكرهما، وإليه تعالى الرجوع بعد الموت.[30]

وفي الآية الخامسة عشرة، بيّن سبحانه للإنسان أنه إن جاهدا والداه وبذلا جهدهما في حمله على أن يشرك بالله ما ليس له به علم، فلا يجوز له أن يطيعهما معاً في ذلك أبداً، ولكن عليه أن يعاملهما في الحياة بالمعروف، وهو برّهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله، كما عليه أن يتبع طريق من أناب إلى الله يتوحيده وعبادته والدعوة إليه، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم.[31]

وفي الآية السادسة عشرة، بيّن سبحانه أنّ لقمان ذكّر ابنه بأن الله عليم بكل شيء، حتى وإن تك زنة حبة من خردل من خيرٍ أو شرّ من حسنة أو سيئة،فإن الله يحاسب عليها ويجزئ بها، فهو سبحانه لطيف باستخراجها وخبير بموضعها، ولهذا فليعمل كل إنسان من الصالحات، واجتنب السيئات، وعليه أ يثق في جزاء الله العادل الرحيم.[32]

ثم في الآية السابعة عشرة، بيّن سبحانه أن لقمان نصح ابنه بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبالصبر على ما اصابه من أذى ممن يأمرهم وينهاهم. وذلك لأنّ إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والصبر على الأذى، كل ذلكفي ذات الله من الأمور الواجبة التيهي عزائم وليست برخص.[33]

وفي الآية الثامنة عشرة، بيّن سبحانه أن لقمان نهى ابنه عن خصال ذميمة محرّمة وهي التكبّر على الناس بأن يخاطبهم، وهو معرض عنهم بوجهه ولا عنقه، وهي مشية المرح والاختيال والتبختر، والفخر بالنعم مع عدم شكرها، وذلك لأنّ الله لا يحب من هم على تلك الحالة، فيجب تجنبها.[34]

ثم في الآية التاسعة عشرة، بيّن سبحانه أن لقمان نصح ابنه بأن يمشي متأنياً في غير عجلة ولا إسراع، لأن الاقتصاد ضدّ الإسراف. كما أنه نصح ابنه بأن يقتصد في صوته كذلك، فلا يرفع صوته إلا بقدر الحاجة. علل النهي بعدم رفع الصوت من غير حاجة لأنه يشبه صوت الحمير الذي هو أقبح صوت، أوله زفيرٌ وآخره شهيق.[35]

---

[30] المرجع نفسه، ص 206.
[31] المرجع نفسه، ص 207.
[32] المرجع نفسه، ص 208.
[33] المرجع نفسه.
[34] المرجع نفسه، ص 209.
[35] المرجع نفسه.

من التفسير الإجمالي للآيات السابقة، يمكننا استنباط القيم التربوية التالية:

أ) قيمة شكر الله تعالى

شكر الله تعالى أمر مهمّ في العملية التربوية. ومن المعلوم، أن النعم تدوم وتزيد بالشكر وتنقص بالكفر. ولا يكون الشكر لله تامّاً إلا إذا استوفى أركانه الثلاثة، وهي: تصوّر النعمة في القلب، والثناء على المنعم في اللسان، ومكافئة النعمة بقدر استحقاقه في الجوارح.[36]

إن الفرد الصالح بشكره لله يحرص كلّ الحرص على طاعة الله وعلى استعمال ما أنعم الله عليه فيما يرضي الله. بينما الفرد الطالح بكفره لله يعصي الله وأساء استعمال ما أنعم الله عليه.

ب) قيمة الموعظة والنصيحة

الموعظة في اللغة تعني النصح والتذكير بالعواقب، وفي الشرع تعني التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب. كما أن لقمان دائم النصح والوعظ لولده، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير النصح والوعظ لأمته كذلك.

ورد في الأثر، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنّ هذه موعظة مودعن فماذا تعهّد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيّاً، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ)) (رواه الترمذي)

وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حقيقة التدين هو أن ينصح المسلمون بعضهم على بعض. ورد في صحيح مسلم عن تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحة)) ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))(رواه مسلم).

والعملية التربوية تحتاج إلى النصيحة والموعظة الحسنة، وذلك لأنّ في القلوب شفافية عجيبة- تظهر وتتأثر بالكلمات الرقيقة وبالمواقف المؤلمة التي تستعطف العواطف، فتحملها على الخير. وأحياناً، قد يكون في القلوب قسوة عجيبة، حتى إنّ بعضها كالصخور الصلدة أو أشدّ منها. وبالموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة تلين بعض القلوب.

[36] الراغب الإصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (القاهرة: مكتبة فياض، 1430 هـ)، ص 343.

والموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة تتصف بالخصائص المتميزة، نذكر بعضا منها مثل البعد عن الإطالة، وعن التكرار الممل، وأن تناسب المقام والحال، وأن تصدر من قلب مخلص، وأن تشتمل على شيء من الترغيب والترهيب، وأن تتضمن العبر التي تحرك الوجدان، وتحمل على التمسك بالحقّ.

ت) قيمة إبطال الشرك بالله والتحذير منه

أعظم واجب العباد على الله أن لا يشرك به شيئاً في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته. ولهذا، أهمّ ما يجب على الفرد المسلم أن يغرسها في نفوس الجيل القادم هو التوحيد. ومقتضى التوحيد أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممن سواهما. إنّ من وظيفة المعلم تجاه المتعلم إبطال الشرك والتحذير منه.

النجاح كل النجاح في العملية التربوية الإسلامية حينما يتمكّن المعلم على غرس التوحيد الذي هو العقيدة الصحيحة والابتعاد عن الشرك الذي هو العقيدة الضالة. فالتوحيد من أسباب النجاح في الدارين، كما ان الشرك من أسباب الشقاوة في الدارين.

ث) قيمة برّ الوالدين

برّ الوالدين له شأن كبير في العملية التربوية، وذلك لأن الولد حينما يتذكر ويشعر كيف كانت رحمة والديه في تربيته، وخاصة حينما كان صغيراً، وما حصل من الأمّ من أمومة وحمل ورضاعة وتربية، كل ذلك يدفعه إلى طاعتها والإحسان إليهما. ومن المعلوم أن رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين.

ورد في صحيح البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، سألت النبي صلى الله عليه وسلّم: أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها))، قال: ثم أيّ؟ قال: ((برّ الوالدين))، قال: ثمّ أيّ؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)). (رواه البخاري).

ج) قيمة طاعة الله

طاعة الله أمر واجب، ومعصية الله أمر محرّم. وطاعة الله فوق طاعة كل شيء. ولو أمر الوالدان ولدهما بمعصية الله، يجب على ذلك الولد طاعة الله ومخالفة أمر والديه إن كان في طاعتهما معصية الله.

طاعة الله قيمة مهمة في العملية التربوية، ولهذا يجب غرسها منذ الصغر لدى المتعلم. حينما يطيع العبد ربّه ينتج منها ثمار يانعة تتمثل في محبة العبد لربّه وعفو الله لعبده، وهذا هو الفوز العظيم.

ح) قيمة اتباع سبيل المؤمنين

من أراد النجاح في أي أمر يجب عليه أن يسلك السبل التي توصل من سلكها قبله إلى النجاح. ولهذا، اتباع سبيل المؤمنين واتباع منهج الصحابة الكرام قيمة ضرورية في العملية التربوية.

لا سبيل للجيل اللاحق أن يترقى إلى العلى إلا باتباع المنهج الذي سلكه الجيل السابق، الذين هم خير القرون. ولهذا، يقول الإمام مالك رحمه الله: لا يصلح أمر هذه الأمة غلا بما صلح به أوّلها. ومن المعلوم، أن جيل الصحابة أكثر جيل تمسكاً بالكتاب والسنة، والإعراض عن غيرهما.

وقد زكّى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أمّته لمن تمسّك بكتاب الله وبسنّة رسول الله أنهم لن يضلّوا أبداً. وعن مالك رضي الله عنه أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: ((تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم)) (رواه مالك).

خ) قيمة الإيمان بقدرة الله تعالى وعلمه

إنّ الإيمان بقدرة الله تعالى يدفع العبد إلى أن يعمل الصالحات، ويتجنب عن السيّئات. حينما يؤمن الفرد بأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه لا يخفى عليه خافية، كل ذلك يجعله يوقن بعدم تحقير أي عمل صالح مهما صغر، لأنه يعلم أنّ الله سيجازيه أحسن الجزاء. كما أنه لا يهمل أي عمل سيّء مهما قلّ، لأنه يعلم بأن الله سيحاسب عليها.

د) قيمة مراقبة الله تعالى

إنّ مراقبة الله عزّ وجلّ بأن يشعر العبد أن الله يراقبه ويعلم ما يفعله، ويعلم سرّه وجهره، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم أن الله يطلع على حركاته وسكناته، وعلى أفعاله وأقواله، كل ذلك سيعين العبد على تحمل المشقة الكبيرة، لن يعلم بأن الله لايكلف عبده إلا في حدود طاقته.

ومراقبة الله من الإحسان الذي هو أرفع مراتب الدين. وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلّم مفهوم الإحسان في حديث جبريل: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) (رواه البخاري). وحينما يشعر العبد بمراقبة الله له يقطف ثمار ذلك في أن يحسن قصده، فيقوم بأي عمل خالصاً متجرّداً لله.

ذ) قيمة إقامة الصلاة

إنّ الصلاة أمر واجب لكل مسلم بعد الشهادتين. والصلاة تفرق بين المؤمن والكافر. والصلاة عماد الدين. والصلاة ما ما يحاسب به العبد يوم القيامة. ولهذا، إقامة الصلاة قيمة مهمة في العملية التربوية الإسلامية.

من خلال إقامة الصلاة، يتقرب العبد إلى ربّه، ويستعين بصلاته على تحمل المشقة الكبيرة في حياته، ويحصل منها محبة الله ومغفرته.

ر) قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب صلاحية الأمة الإسلامية مدى الدهر. والتهاون في القيام بهذا الواجب قد يؤدي إلى سقوط الأمة إلى الهوان والذلة. ولهذا، يجب أن تغرس هذه القيمة لدى المتعلمين منذ الصغر، حتى يتكون لديهم شخصية الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ز) قيمة الصبر

الصبر يعني حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشقّ الثياب.[37] ويقال بأن الصبر هو تحمّل ما يحلّ بالمرء مما يؤلم أو يحزن.[38]

إن الصبر قيمة مهمة في العملية التربوية. فالمربي لا بدّ أن يتحلى بأرفع درجات الصبر. ورد في الأثر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فادركه أعرابي فجبذه برد جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء)) (رواه البخاري).

إن الصبر نصف الإيمان. وقال عبد الله بن مسعود: ((الإيمان نصفان: نصف صبرٌ، ونصف شكرٌ)).[39] وجزاء الصابرين لا يعلم قدره إلا الله.

س) قيمة حرمة الكبر

الكبر صفة خاصة لله سبحانه، ولا يليق لأحدٍ أن يكون له صفة الكبر. فالكبر من أعظم أمراض القلوب. فالمعصية الأولى التي ارتكبها إبليس كان بسبب الكبر حيث أبى أن يسجد لآدم على الرغم من أمر الله له.

[37] أحمد بن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1429 هـ)، ج 38، ص 332.
[38] ابن قيم الجوزية، **مختصر عدة الصابرين**، (الرياض: دار الوطن، 1428 هـ)، ص 8.
[39] المرجع نفسه، ص 48.

إنّ حرمة الكبر قيمة مهمة في العملية التربوية، حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحذر أمته من الوقوع في الكبر، حيث قال: ((لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردلٍ من كبر. ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبّة من خردلمن إيمان)) (رواه ابن ماجه).

ش) قيمة التواضع

التواضع من أخلاق الإسلام المثالي. وقد أرشد رسول الله من أراد العزة والكرامة والشرف فعليه أن يتواضع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله رجلاً بعفوٍ إلا عزّاً. وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله)) (رواه الترمذي).

إن غرس قيمة التواضع لدى المتعلمين أمر في غاية الأهمية. إذا تحلى الفرد بصفة التواضع يحبه جميع الناس. والاقتداء بالنبي يتمثل في اقتداء تواضعه، حيث يبدأ اصحابه بالسلام، ويذهب إلى السوق ويحمل بضاعته، ويقبل عذر المتعذر، ويأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبأس، ويجلس على الأرض.

ص) قيمة القصد في المشي

القصد في المشي يعني السير بأدبٍ وتواضع وعدم التسرّع والعجلة، وعدم الخيلاء. هذه القيمة لا بد من غرسها لدى المتعلمين لأنه يزيد الوقار والهيبة، كما أن فيه السلامة والبعد من غواية الشيطان.

ض) قيمة غضّ الصوت

غضّ الصوت يعني عدم رفع الصوت بغير حاجة. فالمسلمون يتحلون الدب في أقوالهم وأفعالهم وهيئاتهم. وقد نهى الله عباده أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي تأدّباً معه. وقياساً على ذلك، لا يجوز رفع الأصوات تأدّباً مع الوالدين، ومع الأساتذة والمشايخ، ومع كبار القوم، ومع الناس أجمعين.

إن رفع الصوت في غير حاجة سبب في تشتيت الأفكار، بل يشبه صوت الحمير الذي هو أقبح صوت. فالمتربي لا بد أن يتأدب في حديثه بأن يضبط درجات صوته، فلا يرفعه بما لا يقتضي المقام.

من خلال ما تقدم، يمكن القول بأن قصة لقمان ونصائحه لابنه تشتمل على العديد من القيم التربوية التي تكون الأمة الإسلامية في أمسّ الحاجة إليها اليوم، وخاصة في ظل تفشي القيم التربوية الغير الإسلامية المستمدة من الحضارات المادية سواء من الشرق والغرب.

لقد حان الأوان للعودة إلى القيم التربوية افسلامية في العملية الاربوية المطبقة في بلادنا الإسلامية، حتى تمكن من قطف الثمار المرجوة.

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد جولة علمية حول شخثية لقمان وقصته في القرآن والقيم التربوية المستنبطة من قصته، يمكن استخلاص ما يلي:

أ) أن شخثية لقمان الحكيم نموذج لصورة المربي الناجح، حيث إنه علم بعظمة المسؤولية التي وضعها الله على عاتق الاباء تجاه أولادهم، فادى دوره بأحسن قيام، فاخلد الله ذكره في القرآن إلى يوم القيامة.

ب) أن كشف القيم التربوية مهمة وضرورة في نجاح رسهم الهداف التربوية الإسلامية، حتى تكون متميزة عن غيرها من الأهداف. ولذا، كانت القصص القرآني غنية بتلك القيم التي تنتظر من الباحثين كشفها ونشرها بين الناس.

ت) أن قصة لقمان الواردة في سورة لقمان من الاية الثانية عشرة إلى الآية التاسعة عشرة مشتملة على العديد من القيم التربوية، من قيمة شكر الله، وقيمة الموعظة الحسنة، وقيمة إبطال الشرك والتحذير منه، وقيمة برّ الوالدين وقيمة طاعة الله، وقيمة اتباع سبيل المؤمنين، وقيمة افيمان بقدرة الله وعلمه، وقيمة مراقبة الله، وقيمة إقامة الصلاة، وقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيمة الصبر، وقيمة حرمة الكبرن وقيمة التواضعن وقيمة القصد في المشين وقيمة غضّ الصوت.

المصادر والمراجع

أبو حيان الأندلسي. (2010 م). **البحر المحيط في التفسير المشهور بتفسير أبي حيان**. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني. (1323 هـ). **إرشاد الشاري لشرح صحيح البخاري**. مصر: الطبعة اكبرى الأميرية.

أحمد بن حنبل. (1429 هـ). **مسند أحمد بن حنبل**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قيم الجوزية. (1428 هـ). **مختصر عدة الصابرين**، الرياض: دار الوطن.

ابن منظور. (1419 ه). **لسان العرب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

جابر الجزائري. (1418 ه). **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. الدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الراغب الإصفهاني. (1430هـ). **المفردات في غريب القرآن**. القاهرة: مكتبة فياض.

زهراء أحمد عثمان الصادق. (2009 م). **القيم التربوية في قصص القرآن تصور لخطّة تدريسها في إطار منهج التربية الإسلامية الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساس بالسودان**، رسالة الدكتوراه، جامعة الخرطوم.

صلاح الدين الحواري. (د.ت). **المعجم الوسيط**. بيروت: دار البحار.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (د.ت). **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر.

عبد الرحمن النحلاوي. (1425هـ). **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**. دمشق: دار الفكر

قاسم محمد محمود خزعلي. (د.ت). **القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف**. الأردن: جامعة البلقاء التطبيقية.

مجد الدين الفيروز آبادي. (1419 هـ). **القاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (د.ت). **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (1417 هـ). **البداية والنهاية**. جيزة، دار هجر، 1417 هـ.

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (1423 هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. الرياض: دار عالم الكتب.

محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(1407 هـ). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون القاويل في وجوه التأويل**. (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج 3، ص493.

محمد بن جرير الطبري. (1425 هـ). **جامع البيان في تأويل آي القرآن بالقرآن**. القاهرة: دار السلام.

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي.(1434 هـ). **تفسير البيضاوي**. بيروت: دار المعرفة.

نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. (1434 هـ). **التفسير الموضوعي للسور القرآنية**. الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة: جامعة الشارقة.